

تُنَائِيَّةُ الدُّخُولِ وَالخُرُوجِ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ دراسة تحليلية لتداعي المعاني وانسجامها

د. فايز مد الله سلمان الذنبيات

أستاذ البلاغة والنقد المشارك في جامعة الحصن - كلية التربية

أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة

تُنَائِيَّةُ الدُّخُولِ وَالخُرُوجِ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ دراسة تحليلية لتداعي المعاني وانسجامها

د. فايز مد الله سلمان الذنبيات

ملخص البحث:

تناقش هذه الدراسة فكرة الانسجام النصي على مستوى موضوعات السورة كلها، إذ تتلمس الحلقة الرابطة بين كل معنى والآخر، وتفسر بطريقة التناسب سبب استدعاء كل موضوع للآخر. وقد وضعت محورا لموضوعات السورة كلها هو: (الدخول والخروج) وهذا المحور مستوحى من الإسراء أولا ثم من قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ الإسراء: ٨٠. وعبر إيجاد هذا الرابط استطاعت الدراسة أن تصل إلى خيوط الربط بين الموضوعات في السورة. كما استطاعت تفسير استهلال السورة على هذا مجادثة الإسراء وذكر موسى ونوح عليهما السلام بعدها.

Dual entry and exit in Surat Al-Isra Analytical Study of the relay meanings and compatibility

Abstract:

This study discusses the idea of agreement, between the whole script Sura topics, as looking for a nexus between the meaning and the other, and explain why the polarization of each topic to another. It has developed a hub for all subjects Sura is: (entry and exit) and this axis is taken from Isra first and then the verse: {And say, "My Lord, cause me to enter a sound entrance and to exit a sound exit} exit (Isra: 80). It is to get through this link the study was able to reach the filaments linking themes in Sura. As was able to interpret the initiation of Surah al-Isra on this incident, said Moses, Noah beyond.

المقدمة:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ ﴾ أحمدته على منته وعطائه، مسبحاً بوحدانيتها مؤمناً بقرآنه وجميع أنبيائه. ثم الصلاة والسلام على صفيه وسيد أوليائه. وبعد:

فمن أسرار التناسب في القرآن أن السورة تتماهى مع محورها العام - من حيث القصص الواردة فيها والترغيب والترهيب والأوامر والنواهي - تماهياً شبه خفي يحتاج إلى استجلاء. فإن استطاع المتدبر أن يجدد محور السورة فإنه يستطيع أن يتعرف بشيء من التأمل على العلاقة التي تربط كل موضوعاتها. وهذا ما سعت إليه الدراسة، فهي تحاول الإجابة عن سؤالين مهمين هما: ما هي العلاقة التي تنتظم موضوعات سورة الإسراء المتعددة؟ وكيف نفسر الخروج المفاجئ من موضوع لآخر في السورة كما هو الحال في الآيات الأولى منها مثلاً؟ وبعد نظر في كتب العلماء قديمها وحديثها لم أعثر - في حدود اطلاعي - على إجابة شافية. وبعد توفيق من الله توصلت إلى أن السورة تركز تركيزاً واضحاً على ثنائية الدخول والخروج، وهذه الثنائية - فيما أعتقد - تصلح أن تجيب عن السؤالين السابقين. ومن هنا قامت الدراسة وفق منهج تحليلي سياقي بتقصي دلالات الموضوعات المتنوعة في السورة وإرجاعها لهذه الثنائية.

وقد انقسمت الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وفصلين: تناولت في الفصل الأول جانباً من جهود العلماء في نظرتهم لتنوع موضوعات السورة. أما الفصل الثاني فتناولت فيه تحليل خيوط العلاقة بين الموضوعات المتعددة، وهو ينقسم إلى عدة مطالب. ثم أعقبت ذلك بجانب اصطباغ الأفعال في السورة بصبغة الحركة وقد

تناولت في الخاتمة أهم نتائج الدراسة. أما عن مراجع الدراسة فهي من المراجع التراثية العامة وبعض المراجع الحديثة. لكن الباحث لم يسر على هدي دراسة بعينها وقد ارتأى أن يكون لمنهجه هوية خاصة مع أن عدداً من أدوات المنهج مألوفة في الدراسات، لكن آلية تطبيقها مختلفة انطلاقاً من النصية وسياقاتها.

تمهيد: حول منهج الدراسة.

يقوم منهج الدراسة على تعيين محور دلالي عام يُستخلص عادة من موضوعات السورة. ولا يكون هذا المحور - في الجمل - محل إجماع من قبل الباحثين؛ بسبب اختلاف زوايا النظر للسورة. وقد يكون للسورة الواحدة عدة محاور، ويكون بين هذا المحاور علاقات دلالية قائمة على التقاطع أو (التداعي). أما تعريف المحور العام فيمكن أن نقول فيه إنه: حاصل ما تدل عليه موضوعات السورة مجتمعةً. أما العلاقة بين كل موضوع وآخر من موضوعات السورة فقد ارتأى الباحث أن يستعمل مصطلح (التداعي) ويُقصد به: تلك العلاقة الخفية التي استدعت أن يكون هذا الموضوع إلى جانب ذلك الموضوع، وهي علاقة مناسبة مع المحور الدلالي للسورة.

وحول منهج الدراسة فإن منهجها تحليلي استنباطي، يقوم على استقراء الروابط الخفية، والتماس خيوط التداعي بين الموضوعات. وهي فرع من مما عُرف قديماً بعلم (المناسبات) مع تحديث في الآليات. فالنظرة القديمة لم تُعنَ بفكرة النصية، أو محاولة إيجاد اللحمة بين بنى النص المتعددة، واستخراج العلاقات الرابطة بينها، تحقيقاً لفكرة وحدة النص كله لا وحدة المقطع أو الآية فقط. ومن هنا فإن الدراسة بما هي عليه تقف بين البلاغة القديمة وبين لسانيات النص محاولة الاستفادة من المجالين بما يخدم قدسية النص القرآني. ويُظهر بلاغة انسجامه وترابط آياته بجلاء.

وتحقيقاً لفكرة نصية النص وتداعي موضوعاته حول محور واحد وتماهي مفرداته مع المحور- فقد تم اختيار (سورة الإسراء) لأنها من السورة ذات التنوع في موضوعاتها، وذات الخروج المفاجئ من موضوع لآخر. فكان تعيين محور السورة مفيداً في التقاط خيوط العلاقة الإعجازية بين الموضوع والآخر. كما كان معيناً على التقاط اللحمة البنائية لخطاب السورة بوصفه نصاً واحداً.

الفصل الأول: محور السورة والعلاقة بين موضوعاتها في الدراسات السابقة.

نستعرض في هذا الفصل عدداً من آراء المفسرين والباحثين الذين اهتموا بإيجاد الروابط بين موضوعات السورة وحاولوا إيجاد محور لها. وخصوصاً ما يشوب الانتقال المفاجئ من موضوع لآخر مع خفاء روابط التداعي بين الموضوعات. كما هو الحال في استهلال السورة عن حادثة الإسراء ثم العطف المباشر بقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا موسى الكتاب﴾ مما جعل شأن العلاقة بين الموضوعين تبدو خفية. وقد حاول بعض من كتبوا في إعجاز القرآن كالباقلاني (٤٠٢هـ) إيجاد الرابط بين مستهل السورة وما يليها من ذكر بني إسرائيل ونوح عليه السلام، لكن محاولته كانت بعيدة؛ فما زاد على أن تحسس الرابط لكنه لم يبلغه إذ يقول: "وفي نظم القرآن أبواب كثيرة لم نستوفها، وتقصيها يطول، وعجائبها لا تنقضي. فمنها الكلام والإشارات، وإذا بلغ الكلام من هذا القبيل مبلغاً، ربما زاد الإفهام به على الإيضاح، أو ساوى مواقع التفسير والشرح، مع استيفائه شروطه، كان النهاية في معناه، وذلك كقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ، لِزَيِّنَهُ، مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فصول هذه الآية وكلماتها على ما شرحناه، من قبل البلاغة واللفظ في التقدم، وفي تضمن هذا الأمر العظيم، والمقام الكريم. ويتلو هذه قوله:

"وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ" هذا خروج لو كان في غير هذا الكلام لتصور في صورة المنقطع، وقد تمثل في هذا النظم لبراعته وعجيب أمره، و "موقعه" موقع مالا ينفك منه القول. وقد يتبرأ الكلام المتصل بعضه من بعض ويظهر عليه التشبيح والتباين، للخلل الواقع في النظم، وقد تصور هذا الفصل للطفه وصلاً ولم بين عليه تميز الخروج. حسن الانتقال من قصة موسى إلى قصة نوح عليهما السلام، ثم انظر كيف أجرى هذا الخطاب إلى ذكر نوح عليه السلام، وكيف أثنى عليه؟ وكيف يليق صفته بالفاصلة ويتم النظم بها؟ مع خروجها مخرج البروز من الكلام الأول، إلى ذكره، وإجرائه إلى مدحه بشكره، وكونهم من ذريته يوجب عليهم أن يسيروا بسيرته، وأن يستنوا بسنته، في أن يشكروا كشكره، ولا يتخذوا من دونه الله وكياً^(١).

ومثله قول الزركشي: إذ يقول معلقاً على التناسب بين وحدات المعنى، وقد التقط طرف خيط رابط: "واتينا موسى الكتاب فإنه قد يقال: أي رابط بين الإسراء و آتينا موسى الكتاب ووجه اتصالها بما قبلها؟ أن التقدير أطلعناه على الغيب عياناً وأخبرناه بوقائع من سلف بياناً لتقوم أخباره على معجزته برهاناً أي سبحان الذي أطلعك على بعض آياته لتقصها ذكراً وأخبرك بما جرى لموسى عليه السلام وقومه في الكرتين لتكون قصتهما آيةً أخرى أو أنه أسرى بمحمد ﷺ إلى ربه كما أسرى بموسى عليه السلام من مصر حين خرج منها خائفاً يترقب ثم ذكر بعده ذرية من حملنا مع نوح عليه السلام إنه كان عبداً شكوراً ليتذكر بنو إسرائيل نعمة الله عليهم قديماً حيث نجاهم من الغرق إذ لو لم يُنجأ أباهم من أبناء نوح عليه السلام لما وجدوا وأخبرهم أن نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً وهم ذريته والولد سر أبيه فيجب أن يكونوا شاكرين كأبيهم لأنه يجب أن يسيروا سيرته فيشكروا^(٢). مع أن الناظر في القرآن يدرك

أن بني إسرائيل ليسوا من ذرية نوح عليه السلام! بل ممن كانوا معه؛ بدلالة ظاهر السياق، إلا إنه ورد في سياقات أخرى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا بَاقِينَ﴾ الصافات: ٧٧ ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ﴾.

وثمة طائفة من علماء التفسير لا تعتنى بالمناسبة والربط بين الموضوعات كالشوكاني، إذ يقول معلقاً على استهلال سورة الإسراء: "وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ أَي: التَّوْرَةَ، قِيلَ: وَالْمَعْنَى: كَرَّمْنَا مُحَمَّدًا ﷺ بِالْمِعْرَاجِ وَأَكْرَمْنَا مُوسَى بِالْكِتَابِ وَجَعَلْنَاهُ أَي: ذَلِكَ الْكِتَابَ، وَقِيلَ: مُوسَى هُدَى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ يَهْتَدُونَ بِهِ أَلَّا تَتَّخِذُوا^(٣)". ويقول المرري: "مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر في الآية الأولى: أنه أكرم عبده، ورسوله محمداً ﷺ، بالإسراء من مكة إلى بيت المقدس أردف ذلك بذكر ما أكرم به موسى عليه السلام قبله من إعطائه التوراة، وجعله هدى لبني إسرائيل ليخرجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور العلم والهدى، ثم قفى على ذلك ببيان أنهم ما عملوا بهديها بل أفسدوا في الأرض، فسلب الله عليهم البابليين^(٤)".

وعن السابقين نقل بعض المحدثين الفكرة ولم يزد عليها، إذ يقول: "... إذا تعلق الكلام بعبده ببعض ولم يتم المعنى فالترابط واضح ولا حاجة لشرحه. وإذا لم يظهر الارتباط وظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وهذا هو موضوع البحث وهو يقسم إلى قسمين. القسم الأول: أن تكون الجمل معطوفة ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ سبأ: ٢ فهنا مقابلة وتضاد. لتكون قصتهما آية أخرى؟ أو أنه أسرى بمحمد ﷺ إلى ربه كما أسرى بموسى عليه السلام من مصر حين خرج منها خائفاً يترقب. ثم ذكر ذرية من حملنا مع نوح عليه السلام ليتذكر بنو إسرائيل نعمة الله عليهم، قديماً حيث

نجاهم من الغرق إذ لو لم يُنج أباهم من أبناء نوح عليه السلام لما وجدوا وأخبرهم أن نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً وهم ذريته والولد سر أبيه فيجب أن يشكروا النعم كأبيهم^(٥).

وثمة محاولات لبعض البلاغيين لإيجاد الرابط بين مستهل السورة وما لحقها من ذكر بني إسرائيل ونوح عليه السلام. ولكنها لم تزد على كلام السابقين شيئاً. يقول ابن أبي الإصبع العدواني المصري: "فإنك تقف من الكتاب العزيز على مواضع تجدها في الظاهر فصولاً متنافرة لا تعرف كيف تجمع بينها، فإذا أنعمت النظر وكنت ممن له دربة بهذه الصناعة، ظهر لك الجمع بينهما، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿سبحان الذي... عبداً شكوراً﴾ فإنك إذا نظرت إلى قوله تعالى: "وآتينا موسى الكتاب" وجدت هذا الفصل مبيناً لما قبله، حتى تفكر فتجد الوصل بين الفصلين في قوله: "سبحان الذي أسرى بعبده" أخبر بأنه أسرى بمحمد ﷺ ليريه من آياته، ويرسله إلى عباده، كما أسرى بموسى عليه السلام من مصر حين خرج منها خائفاً يترقب، فأتى مدين، وتزوج بابنة شعيب، وأسرى بها فرأى النار، فخاطبه ربه وأرسله إلى فرعون، وآتاه الكتاب، فهذا الوصل بين هذين الفصلين، وأما الوصل بين ما ذكرت وبين قوله تعالى: "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً" فقد كان على بني إسرائيل نعمة عليهم قدماً حيث نجاهم في السفن، إذ لو لم يُنج أباهم من أبناء نوح عليه السلام لما وجدوا، وأخبرهم أن نوح عليه السلام كان شكوراً، وهم ذريته، والولد سر أبيه^(٦).

والمناسبة بين مستهل السورة وما يليها عند ابن عاشور قائمة على أن: "الإسراء بالنبي ﷺ ليلاً ليرى من آيات الله تعالى من المناسبة لحالة موسى عليه السلام حين أوتي النبوة، فقد أوتي النبوة ليلاً وهو سارٍ بأهله من أرض مدين، إذ آتس من جانب

الطور ناراً، وحاله أيضاً حين أسرى إلى مناجاة ربه بآيات الكتاب^(٧). وقد اكتفى نفر من البلاغيين بالبحث عن الفنون البلاغية محاولاً استحضار دلائلها كما نجد عند بعضهم: "جاءت في هذه الآية كلمة ليلاً تميمياً، وذلك لأن الإسراء لا يكون إلا بالليل، وفائدة هذا التميم الإشارة إلى قصر المدّة التي حصل فيها الإسراء ذهاباً وعودةً، والإشارة إلى أنّ الليل خصائص من نفحات الله وإكراماته التي يفيض بها على بعض عباده^(٨)".

وقد تحدث غير واحد من العلماء عن محاور السورة ومقاصدها العامة، لكن دون عناية بإيجاد روابط بين محور وآخر، إذ يبدو تجاور هذه المحاور غير واضح. فمثلاً يقول الفيروز أبادي: "مقصود السورة ومعظم ما اشتملت عليه: تنزيه الحق تعالى، ومعراج النبي ﷺ، والإسراء إلى المسجد الأقصى، وشكر نوح عليه السلام، وفساد حال بنى إسرائيل، ومكافأة الإحسان والإساءة، وتقويم القرآن الخلائق، وتخليق الليل والنهار، وبيان الحكمة في سير الشمس والقمر ودورهما، وملزمة البخت المرء، وقراءة الكتب في القيامة، وبيان الحكمة في إرسال الرسل، والشكوى من القرون الماضية، وذكر طلب الدنيا والآخرة، وتفضيل بعض الخلق على بعض، وجعل برّ الوالدين والتوحيد في قرن واحد، والإحسان إلى الأقارب، والأمر بترك الإسراف، وذمّ البخل، والنهي عن قتل الأولاد، وعن الزناء، وقتل النفس ظلماً، وأكل مال اليتيم... والأمر بإقامة الصلوات الخمس في أوقاتها، وأمر الرسول ﷺ صلى الله عليه وسلم بقيام الليل، ووعده بالمقام المحمود، وتخصيصه بمُدخل صدق، ومُخرج صدق، ونزول القرآن بالشفاء، والرحمة، والشكايّة من إعراض العبيد،... والإشارة إلى جواب مسألة الروح، وعجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن، واقتراحات المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفضيل حالهم في عقوبات الآخرة، وبيان

معجزات موسى، عليه السلام ومناظرة فرعون إياه، وبيان الحكمة في تفرقة القرآن، وآداب نزوله، وآداب الدعاء وقراءة القرآن، وتنزيه الحق تعالى عن الشريك والوكلد في ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا﴾^(٩). ولا شك أن هذا التعداد للموضوعات والمحاور له مستدعيات سياقية وسلك ناظم يجعل من تجاوز وحدات المعاني أمراً فائق الدقة.

وعلى المنوال نفسه نجد سيد قطب يحاول تعداد محاور السورة متلمساً الرابط بينها، وإن كان يعزو ذلك إلى (الاستطراد) كما جاء في قوله "هذه السورة - سورة الإسراء - مكية، وهي تبدأ بتسبيح الله وتنتهي بحمده وتضم موضوعات شتى معظمها عن العقيدة، وبعضها عن قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه القائمة على العقيدة، إلى شيء من القصص عن بني إسرائيل يتعلق بالمسجد الأقصى الذي كان إليه الإسراء. وطرف من قصة آدم وإبليس وتكريم الله للإنسان. ولكن العنصر البارز في كيان السورة ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول ﷺ وموقف القوم منه في مكة. وهو القرآن الذي جاء به، وطبيعة هذا القرآن، وما يهدي إليه، واستقبال القوم له. واستطراد بهذه المناسبة إلى طبيعة الرسالة والرسول، وإلى امتياز الرسالة المحمدية ﷺ بطابع غير طابع الخوارق الحسية وما يتبعها من هلاك المكذبين بها"^(١٠).

وقد نحت بعض الدراسات منحى إشارياً روحياً في تلمس بنية المعنى العام كما جاء عند بعضهم إذ يقول: "والصورة المرسومة هنا تنقل الحدث من الغيب المجهول، إلى المشهد المنظور، وتبدأ عرض الحدث بالتسبيح لله وهو مناسب لجو الإسراء وما فيه من إعجاز أو خوارق للعادة، ثم تبدأ بتحديد الزمان والمكان لهذا الحادث الغيبي... كما أن ربط المسجد الحرام بالمسجد الأقصى، في هذه الحادثة، يرمز إلى أن الإسلام هو خاتم الأديان السماوية"^(١١).

وتأسيساً على ما تقدم نخلص إلى حقيقة هي أن محاولات الربط بين موضوعات سورة الإسراء بدأت بتلمس خيوط العلاقة بين المعاني لكنها لم تكن كافيةً، وهذه الحقيقة ستكون أس الحديث في الفصل التالي. فالمهمة هي إيجاد روابط عميقة بين وحدات المعاني المتعاقبة؛ حتى لا تظهر في النص قفزات من معنى لآخر دون استدعاء حقيقي منسجم مع المعاني. تحقيقاً لنصية النص، وبحثاً عن عناصر اللحمة في ثناياه.

الفصل الثاني: ثنائية الدخول والخروج وعلاقتها بموضوعات السورة.

المطلب الأول: التشابه في الحركة:

يبحث هذا المدخل من الدراسة العلل التي تفسر تتابع عدد من وحدات المعاني عبر نسق واحد. وسياق سورة الإسراء يضم العديد من الأمور الإخبارية: من قصص ومواقف، وأمور تشريعية كالأوامر والنواهي، ومن امتنان وتذكير بنعم الله، ومن حديث عن القرآن وعن الصلاة والتسبيح. وهذا التنوع للموضوعات جاء عبر مسوغات سياقية قائمة على الاستدعاء السياقي، والانسجام الراقى.

فعند النظر إلى سورة الإسراء نجد أن المستهل الذي ابتدأت به السورة وسُميت باسمه هو (الإسراء) وهو حركة انتقال بين مركزين مكانيين في زمن هو الليل. والحديث عن الإسراء إخبار عن حركة انتقال خارقة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. وقد تفرّع عنه حديث عن المسجد الأقصى، وهو النقطة الثانية التي بلغتها حركة الانتقال، وفيه إخبار ثانٍ عن البركة التي تحيط بذلك المسجد. وكان الحديث عن الحركة المعجزة (الإسراء) توطئةً للحديث عن المكان (المسجد الأقصى). وهذا استطراد منطقي في نقلة الخطاب. والإخبار عن المكان استدعى ذكر حوادث مهمة شهدها ذلك المكان؛ من باب التناسب. وهي قصة رسالة موسى وموقف قومه منها.

إذ إن هذه الرسالة لها تعلق جذري ببيت المقدس؛ فبيت المقدس هو المقصود برحلة العبور الخارقة التي أنجى فيها الله بني إسرائيل من فرعون عبر البحر، وهي تماثل الإسراء في كونها خارقةً وفي كونها ليلاً. ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾ الشعراء: ٥٢. وهنا التقت حركتان خارقتان (الإسراء وعبور بني إسرائيل البحر) إلى نقطة مكانية واحدة، وهذا تماثل في الحركة والوجهة. ثم تفرّع الحديث إلى استدعاء آخر جاء عبر قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ ﴾. والحديث عن الحركة الخارقة- والإيماء إلى حركة بني إسرائيل التي أنجتهم من الاستعباد- مهّد للسياق استدعاء حركة خارقة مشابهة أخرى وهي حركة حمل نوح عليه السلام ومن معه في السفينة، وهي حركة نجاة. وعند نوح عليه السلام يلتقي طرفا الحركتين السابقتين (محمد ﷺ وموسى عليه السلام). وهذا التداعي السياقي الخفي هو الذي سوّغ تجاور المعاني على هذا النحو. فخلف كل مذكور من الأنبياء حركة انتقال معجزة، وقوم ظالمون استفزوا أنبياء الله والمؤمنين معهم.

إن ذكر الرحلة (الإسراء) استدعى أن يُخبر عن المكان الذي بلغته الرحلة في محطتها الأولى. وهذا بدوره استدعى - تبعاً للتناسب مع السياق - ذكر حوادث شهيرة تتعلق بالرسالة وقعت على هذا المكان. والحوادث التي وقعت فيها مشاكلة للرسالة المحمدية ﷺ من حيث: الاجتياز المكاني - الوصول إلى نقطة واحدة، ومجابهة قوة طاغية تحاول الاستفزاز وتعطيل الحركة وإفشال الرسالة: محمد ﷺ مع كفار قريش، وموسى عليه السلام مع فرعون.

فتداعي المكان والرحلة ومجابهة القوة الطاغية قاد الحديث إلى ذكر بعض عناصر المشاكلة بين القوتين الطاغيتين: الثني - الاستفزاز - المطالبة التعجيزية.

والحديث عن القوتين الطاغيتين استدعى استباقاً الحديث عن قوة طاغية ومفسدة هم بنو إسرائيل: التي تمثلت جميع الأدوار- دور الضعف قبل العبور، ودور العنت بعده، ثم العلو والإفساد بعد الاستقرار في بيت المقدس. بمتعلق ثابت هو مكان الأحداث (بيت المقدس) عبر محور دلالي يمثّل حركات الخروج والدخول. كالخروج من مصر ثم دخول بيت المقدس ثم الإخراج منه مرتين. ثم العودة إلى دور الضعف والإخراج في المرة الأولى بعد العلو والإفساد. ثم العبور لبيت المقدس مرة ثانية والعلو والإفساد الثاني. ثم الضعف والإخراج في المرة الثانية.

إذن رحلة الإسراء - بخطيها الذهاب لبيت المقدس والعودة منه- استدعت الحديث عن ثلاث رحلاتٍ مشابهة من الدخول والخروج تتعلق بها: الخروج من مصر في المرة الأولى، وهو خروج نجاة للمستضعفين، وكان سبباً لعقاب للظالمين. وقد لحقه خروجان تاليان من بيت المقدس وهما خروجا عقاب؛ بسبب تقمص دور العلو والظلم والإفساد. وهذا ما يفسر تصدّر الخروجين الأخيرين لوحداث المعنى في السورة، إذ جاء مباشرة بعد الحديث عن الإسراء. كما تلاها حديث عن محاولات عودة تليها إنذار بالإخراج: ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ الإسراء: ٨ أما بشأن ذكر نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ الإسراء: ٣. كما تكرر مرةً أخرى عند قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ الإسراء: ١٧ فإنه جاء لعلّةٍ سياقيةٍ تتناسب وثنائيةً المواجهة والعقاب؛ إذ تناسب قصة نوح عليه السلام سياق السورة من جهتين: الأولى: عناد قومه وتمسكهم بالأصنام ورفضهم السماع لدعوة نوح عليه السلام، وهو ما يماثل حال الدعوة الإسلامية مع كفار قريش، والثاني: هلاك الظالمين الكفرة بالغرق ونجاة

المؤمنين الضعفاء عبر الماء. وهو ما يماثل موقف موسى عليه السلام مع فرعون، حيث كان الماء في القصتين وسيلة نجاة المؤمنين، ووسيلة هلاك الكافرين. يُضاف إلى هذا أن موسى عليه السلام وقت كان رضيعاً قد كان الماء سبباً في نجاته من الموت على يد آل فرعون. وكمفارقة ربانية شاء الله أن يموت فرعون بالماء على يد موسى عليه السلام.

وثمة علاقة خفية من علاقات التناسب تتعلق بلفظة (عبده)^(١٢) في مطلع السورة، فهذا المقام الذي أُخبر فيه عن النبي ﷺ كان سبباً في الحركة الخارقة، وقد ناسبه أن يوصف نوح عليه السلام عندما حُمِلَ على السيفنة بصفة العبد الشكور ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ وفي المقام ذاته حينما شرع بنو إسرائيل بالخروج من مصر جاء وصفهم في سورة طه (عبادي) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ﴾ طه: ٧٧. إن العبور الخارق لبني إسرائيل كان إسراءً من حيث التوقيت، وهذا يتقاطع تماماً مع محور الإسراء ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾. مع العلم أن إسراءهم -على ما فيه من آيات- استغرق أربعين سنةً للوصول إلى بيت المقدس؛ بسبب نقضهم ميثاق العبودية الذي خرجوا بسببه. وثمة علاقة خفية أخرى تنتظم الحركات الخارقة الثلاث وهو: اشتغالها على كل أنواع التنقل؛ بدءاً من التنقل الجوي ويمثله الإسراء، ثم التنقل البري ويمثله عبور بني إسرائيل، وانتهاءً بالتنقل البحري ويمثله حمل نوح عليه السلام ومن معه. وفي استيفاء أنواع التنقل كلها مزيد من الانسجام الخفي، خصوصاً أن هذا التنقل كان خارقاً أولاً، وكان متعلقاً برسول من أولي العزم ثانياً. وعلى هذا النحو من التداعي السياقي والتقاطع بين الدلالات نلمس حجم الانسجام التكويني بين الموضوعات التي قد تبدو متنافرةً أولً وهلة.

ويلتقي مع ثنائية الدخول والخروج أو الاستفزاز وجو التكبر^(١٣) والغطرسة مع موقف إبليس، فقد استدعى السياق حالته لعمق المناسبة؛ قال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْهُ وَأَسْتَغِيثُ مِنْهُ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ الإسراء: ٦٤ مع الربط العجيب بين التكبر والاعتزاز بالمال والولد والاستفزاز الذي يجمع قوى الطغيان والجبروت جميعاً، ومن باب التناسب بين الحالات جاء قوله تعالى يصف غطرسة إبليس وتكبره اللذان تشبهان دعوى فرعون وكفار قريش، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٦٢ ومن هنا تتحد أجزاء الصورة الكلية لمحتوى السورة. من التكبر المقترن بالمال والذرية والطغيان، الاستفزاز والإخراج من الأرض. مع التذكير أن إبليس خرج خروجاً أبدياً من الجنة وقد تسبب في خروج آدَمَ خروجاً معلقاً بالعودة.

إن الحديث عن رحلة الإسراء وخروج بني إسرائيل وعبور نوح عليه السلام بكل خيوطه المتشابكة كان له في السورة مفتاح نصي كبير تمثل في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ الإسراء: ٨٠، فهذه الآية تجمل لنا خيوط التناسب في الآيات كلها.

ومن المعروف أن الحديث عن الخروج من بين يدي الظالم يستدعي الحديث عن محاولة الظالم تعطيل الخروج ومحاولة الاستفزاز وثني الخارج عن الرحلة. والاستفزاز هو محاولة التضييق على الخارج لثنيه عن فكرته التي سيخرج لأجلها. وليس معناه حمل الشخص على الخروج. ففرعون منع بني إسرائيل من الخروج. وكان موسى عليه

السلام يطلب إذناً بالخروج قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الأعراف: ١٠٤ - ١٠٥. لذلك جاء في سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴾ الإسراء: ١٠٣. كما ورد استفزاز^(١٤) كفار قريش لسيدنا محمد ﷺ ومحاولتهم ثنيه عن الخروج، وعن الفكرة التي دفعته للخروج ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَّا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٦. ونحن لا ننسى أن استفزاز قريش كان بمثابة حرب نفسية، وضغط على النبي ﷺ، وقد تبع ذلك مطاردته أثناء الهجرة، وملاحقة أصحابه إلى الحبشة.

وبما أن الاستفزاز بمعناه العام في السورة يدل على التقييد ومحاوله إحباط الدعوة، أو إحباط مشروع النجاة، أو الإخراج من الدين، فإن هذا استدعى معنى تكوينياً آخر يتعلق بمعضية إبليس الذي خرج خروجاً أبدياً من الجنة. وتسببه في إخراج آدم من الجنة. وفي المعنى المجمل ورد توعد إبليس لبني آدم الذين يحاولون العودة للنقطة المركز (الجنة) قال تعالى: ﴿ لَئِن أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُٓ إِذْ قَالُوا أَلَمْ نَجْعَلْ لَّكَ جَهَنَّمَ جَزَاءً وَكُفْرًا مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفِزُّ مِنْهُم مِّنْهُمْ بِصَوْنِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ الإسراء: ٦٢ - ٦٤. وفي سياق آخر يتكرر توعد إبليس لمحاولة العودة للنقطة المركز كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الأعراف: ١٦ كمحاولة لقطع طريق العودة.

بعد هذا العرض السريع تبيننا أن الإسراء - وإن جاء في آية واحدة - إلا أنه يمثل حركة ربط قوية بين موضوعات السورة في مجملها. خصوصاً تلك القائمة منها على الحركة كالدخول والخروج. وكل موضوع من الموضوعات القائمة على الحركة يستدعي بدوره موضوعات أخرى تتعلق به. وإليك تفصيل ذلك:

المطلب الثاني: تقاطع الموضوعات الفرعية مع محور السورة:

وفي هذا النوع من الانسجام تدرج عدة فروع كلها تتعلق بالمحور الدلالي السابق وهو الخروج والدخول، وما يتشعب عنهما من خروج الإيمان وخروج النجاة وخروج العقاب. وذلك على النحو الآتي:

أولاً: تداعي الامتان.

بما أن السورة كان فيها تلميح لركوب البحر بالنسبة لسيدنا نوح عليه السلام ونجاته منه ومن القوم الظالمين. كذلك خروج بني إسرائيل وعبورهم البحر ونجاتهم من الغرق ومن فرعون. فإن هذا استدعى الحديث عن الامتان الرباني على بني آدم في نجاتهم من الماء حين يركبونه كما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ نَدَعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ ذَنْبًا ٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿الإسراء: ٦٦ - ٧٠﴾.

وفي هذه الآيات تركيز على خروج النجاة من الخطر، وتنكّر الإنسان لنعمة النجاة بعد بلوغه البر. وهذا يشاكل في جانب منه خروج بني إسرائيل وعبورهم البحر وتنكّرهم لهذه النعمة بعد النجاة، كما أن فيه مفهوم العودة أو (الدخول والخروج) في قوله: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾ والامتنان بهذه النعمة تحديداً في هذه السورة جاء انسجاماً مع المحور الدلالي. ونستطيع أن نصف نوع هذه العلاقة الرابطة بين الإخبار عن نجاة المؤمنين بالماء وبين الامتنان على بني آدم بالنجاة من الماء - بعلاقة التنظير والتطبيق. فقد ابتداء بإعطاء النموذج التطبيقي لهذه الحالة أو (الأمثلة)، ثم أعقبه بالامتنان نظرياً على عموم جنس بني آدم. مع ملاحظة أن اختيار هذا الامتنان هنا جاء وفق الاستدعاء المنسجم مع موضوعات السورة.

ثانياً: الأوامر والنواهي.

اشتملت سورة الإسراء على عدد كبير من الأوامر والنواهي الاجتماعية والأخلاقية التي تنظم الجانب الاخلاقي والاجتماعي في حياة الشعوب، وتكفل العدالة والأمن والوفاء والوسطية. وقد تنوعت من حيث طبيعتها إلى اجتماعية واقتصادية وأخلاقية وغيرها، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا ۗ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا بَلَغْنَا عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۗ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۗ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۖ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۗ وَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبْدِرْ تَبْدِيرًا ۗ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۗ وَإِنَّمَا تَعْرَضَنَّهُمْ لِبَتِّغَاءِ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۗ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ

الْبَسْطِ فَتَقَعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا
 ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا
 تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن
 قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا
 مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا
 الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمُوهَا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
 إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ
 الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾

إن هذه التشريعات الربانية التي هي دون أدنى شك جاءت بها الرسالات السماوية كلها وقد قامت على المقاصد الكبرى من حفظ النفس والمال والدين والنسل. لو تتبعنا خيط العلاقة الخفي الذي يربطها بوحدات المعاني السابقة والتداعي الذي يحكمها نجد أنه متعلق بمحور السورة العام وهو (الإسراء) الذي قاد السياق إلى الحديث عن المكان الذي بلغه وهو بيت المقدس، وهذا استدعى ذكر حركة مشابهة كانت متجهة لبيت المقدس وهي حركة بني إسرائيل، وهذه الحركة استدعت المرور على شريعة موسى عليه السلام (التوراة) وما اشتملت عليه من شرائع ربانية عُرفت بالوصايا العشر. وهذه الوصايا العشر مودعة في القرآن الذي نسخ تلك الشريعة. وبهذا النحو من التداعي المحكم تتسلسل موضوعات السورة^(١٥).

يقول ابن عاشور: "عن ابن عباس أنه قال: "التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل". وفي رواية عنه: "ثمان عشرة آية منها كانت في ألواح موسى" أي

من قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخذُومًا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ الإسراء: ٢٢ - ٣٩. ويعني بالتوراة الألواح المشتملة على الوصايا العشر، وليس مراده أن القرآن حكى ما في التوراة ولكنها أحكام قرآنية موافقة لما في التوراة. على أن كلام ابن عباس معناه: أن ما في الألواح المذكور في تلك الآي، ولا يريد أنهما سواء، لأن تلك الآيات تزيد بأحكام، منها قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ الإسراء: ٢٥ - ٢٧، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَادُكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ الإسراء: ٣١، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ الإسراء: ٣٤-٣٩، مع ما تخلل ذلك كله من تفصيل وتبيين عريت عنه الوصايا العشر التي كتبت في الألواح. وإثبات البعث والجزاء. والحث على إقامة الصلوات في أوقاتها^(١٦). فالأوامر والنواهي في سورة الإسراء- تماثل الوصايا العشر المذكورة في التوراة وهي بمثابة ترحيل الشريعة من التوراة التي نالت منها أيدي العابثين إلى القرآن الكريم. يقول الزحيلي: "والوصايا العشر التي ذكرت في الآيات الثلاث، والتي لها نظير في سورة الإسراء، كانت أول ما نزل بمكة قبل تشريع أحكام العبادات والمعاملات، وكانت أول ما نزل على موسى عليه السلام من أصول دينه، وهي أيضا أصول الأديان على ألسنة الرسل لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾ الشورى: ١٣ والقدر المشترك من الدين الذي أوصى به جميع الرسل: هو التوحيد، ومكارم الأخلاق، والبعد عن الفواحش والمنكرات^(١٧). ومن هنا نلمس علاقة هذه الأوامر والنواهي بسياق سورة الإسراء وما خيوط ارتباطها بباقي الموضوعات السورة.

إن مناسبة استدعاء هذه الأوامر والنواهي يمكن استخلاصها من رمزية الإسراء؛ فرحلة المعراج كان من الممكن أن تتم مباشرةً من المسجد الحرام إلى السموات العلى. لكن إرادة الله شاءت أن تتوقف في محطة المسجد الأقصى ثم تتابع مسيرها. وهذا التوقف له رمزية سنأتي عليها في نهاية الدراسة لكنها تحمل مفهوم ترحيل الشرائع السابقة ونسخها وإلغاء العمل بها. مع تضمن شيء من هداياتها في القرآن، حتى لا يرتاب أتباع تلك الشرائع من الرسالة الجديدة. وقد شاء الله أن يكون هذا التضمن ضمن سورة الإسراء؛ تأكيداً على رمزية الرحلة. يقول أحد الباحثين: ^(١٨). "فهي تخرج عن دلالة كونها أرضاً إلى دلالة التشكّل الرمزي للعقيدة، فالمسألة مسألة وراثه دين ووراثه توحيد ووراثه هذه الأمة لما سبقها من الأمم، فهي نقلة ذهنية للمتلقى ليقوم أواصر أبعد من الحركة المادية، إلى ما يتشكل من آثار شمول هذه الرحلة على وقفات ذات أثر فاعل في عالم المخاطب" ^(١٩).

ولا ننسى أن موسى عليه السلام قد تلقى الألواح بعد خروجه الخارق من مصر باتجاه بيت المقدس. وأن محمداً ﷺ قد تلقى هذه الوصايا بعد الإسراء وهذه مناسبة بين سياق التنزيلين، فهذه الوصايا ارتبطت بالحركتين الخارقتين. لكن بني إسرائيل قد حرفوها لم يعملوا بها مما اقتضى إعادتها في الرسالة المحمدية ﷺ، وقد ناسب أن تُذكر في سورة الإسراء التي تحدثت عن الحركات الخارقة وعن الرحلة الرمزية التي أذن الله أن تنسخ الشرائع السابقة. ويمكن أن نسمي نوع العلاقة الرابطة بين الأوامر والنواهي وبين محور السورة بـ: علاقة التقاطع. فحين تقاطعت الرحلتان والتقتا عن نقطة واحدة استدعى السياق تقاطعات أخرى بين رسالة النبي ﷺ بين منها هذه الوصايا.

ثالثاً: الحديث عن القرآن.

كثرت الحديث عن القرآن في سورة الإسراء أكثر من أي سورة أخرى، وكان لهذا علة سياقية تفسره، فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٩ وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ الإسراء: ٤١ وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ٤٥ ﴾ وجعلنا على قلوبهم أكنةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوَّا عَلَىٰ آذَانِهِمْ نُفُورًا ٤٦ ﴾ نحن أعلم بما يستمعون به إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْبَعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ الإسراء: ٤٥ - ٤٧ وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَلِيلًا ٧٣ ﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٣ - ٧٤ وقال الله تعالى: ﴿ أَفَمِنَ الصَّلَاةِ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ الإسراء: ٧٨ وقال الله تعالى: ﴿ وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ الإسراء: ٨٢ وقال الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْمًا وَاكِبًا ٨٦ ﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَآتٍ عَلَيْكَ كَبِيرًا ٨٧ ﴾ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨ ﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ الإسراء: ٨٦ - ٨٩ وقال الله تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾

﴿١٠٥﴾ وَقَرَأْنَا مَا فَرَّقْنَاهُ لِقِرَّاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾

إن هذا الآيات المتفرقات تبين لنا حالات القرآن من حيث وظيفته (يهدي) والغاية من هذه الوظيفة (لِيَذَكَّرُوا) ثم كيفية نزوله (فرقناه) فوائده الأخرى (شفاء ورحمة). حالات الكافرين معه بداية من تحققهم سرا منه (إذ هم نجوى) تفسيرهم المغلوط لإعجازه (مسحورا) ثم (محاولات تحريفه) (لتفتري علينا غيره) ثم تحدي المكذبين به (قل لو اجتمعت الجن والإنس)، ثم حالات المؤمنين معه (يخرون) ثم الأزمنة المفضلة لتلاوته (الفجر). إنها رسالة تعريفية مفصلة عن القرآن بجميع حالاته.

إن الحديث عن القرآن جاء عبر التناسب الذي قاده المسجد الأقصى عن قصص بني إسرائيل وما قضى الله لهم في التوراة من أنبائهم، إذ قاد الحديث إلى الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ وهو ناسخ للتوراة، ومتضمن لبعض شرائعها - وعلى وجه الخصوص الوصايا العشر - التي أكدت سورة الإسراء على جملة منها. إن الحديث عن الوصايا العشر التي وردت في التوراة قاد السياق إلى التأكيد الشديد على معجزة القرآن، وأنه الشريعة التي ارتضاها الله لعباده؛ لذلك كثر في السورة الحديث عن القرآن وحالات تنجيته، وتنزله، وأنه أهدى الكتب إلى طريق الله. يقول سيد قطب: "وبمناسبة المسجد الأقصى يذكر كتاب موسى عليه السلام وما قضى فيه لبني إسرائيل، من نكبة وهلاك وتشريد مرتين، بسبب طغيانهم وإفسادهم مع إنذارهم بثالثة ورابعة ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾. ثم يقرر أن الكتاب الأخير (القرآن) يهدي للتي هي أقوم"^(٢٠). ويقول البقاعي "فذكر الإسراء أولاً دليل على حذف مثله لموسى عليه السلام ثانياً، وذكر إيتاء الكتاب ثانياً دليل على حذف مثله أولاً، فالآية من الاحتباك"^(٢١). إذن الحديث عن القرآن جاء عبر سلسلة من التداعي المحكم.

إن الحديث المركّز عن القرآن^(٢٢) في سور الإسراء لم يأت متتابعاً، بل جاء متقطعاً في ثنايا السورة عدا بعض المواطن تتالت فيها الآيات التي تتحدث عن القرآن حتى بلغ مقطعها الأخير. في حين أن السورة لم تفتح بالحديث عن القرآن على غرار كثير من السور كسورة يوسف أو الحجر أو غيرها. وفي هذا إشارة إلى تنجيم القرآن ونزوله المتقطع الذي تحدثت عنه سورة الإسراء في آخر آية تتحدث عن القرآن، قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلاً ﴾ الإسراء: ١٠٦. فالترفة في التنزيل لازمها ترفة في الحديث عن القرآن داخل السورة مناسبة للحركة. مع ملاحظة أن التنزيل هو من مقتضيات الحركة.

إن مناسبة الحديث عن الإسراء استدعت الحديث عن رسالة موسى عليه السلام بجامع المكان والحركة. وهو بدوره استدعى الحديث عن التقاطعات بين الشريعتين، وبما أن القرآن هو الرسالة الأخيرة فقد استدعى الحديث عن حالاته وهيئاته وهداياته وعن تحديه للإنس والجن - بحكم أنه نزل مفرقاً وليس دفعةً واحدةً كما نزلت التوراة. ويمكن أن نسمي هذه المناسبة بين محور السورة وبين الحديث عن القرآن بـ: التقاطع الافتراضي. إذ إن الموازة بين القرآن والتوراة (المحرفة) طويت ظاهرياً. لكننا نستطيع استخلاصها من التركيز على القرآن والسكوت عن التوراة.

رابعاً: اليوم الآخر.

كثر الحديث في سورة الإسراء عن البعث واليوم الآخر، كما قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ الإسراء: ١٠ ثم أكدت المعنى نفسه في موضعين لاحقين، إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ ٤٩ ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ ٥٠ ﴿ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ ٥١ ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا ۖ ﴾

قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا
 ٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥١﴾ الإسراء: ٤٩ - ٥٢
 ثم تكرر المعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ
 أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُبْخَشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمُقٌ وَمَكًّا وَصَمًّا مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ
 زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَايِنِنَا وَقَالُوا آءَ ذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا آءَ نَا لَمَبْعُوثُونَ
 خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ
 لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٧﴾ الإسراء: ٩٧ - ٩٩.

في البدء يجب التأكيد على أن الموت والنشور يقومان على ثنائية الدخول والخروج (الدخول للقبر والخروج منه)، وهذا مناسب لسياق السورة ومحورها العام، وهو من أصول الاعتقاد. ولكثرة هذا الحديث في سورة الإسراء مستدعيات سياقية تتعلق بالحديث عن بني إسرائيل. فهذه الحقيقة مُحيت من التوراة ولا يؤمن بها اليهود، يقول الشيخ محمد ﷺ رشيد رضا: "وَلَيْسَ فِي التَّوْرَةِ النَّبِيُّ فِي أَيْدِي الْيَهُودِ وَالتَّصَارِي بَيَانٌ صَرِيحٌ لِلْبُعْثِ وَالْجَزَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَإِنَّمَا فِيهَا وَفِي مَزَامِيرِ دَاوُدَ إِشَارَاتٌ غَيْرُ صَرِيحَةٍ" (٢٣).

ولأن عقيدة الإيمان باليوم الآخر حُرِّفت في الشرائع السابقة وعلى وجه الخصوص (التوراة) فإنه كان لزاماً بأن يتم استدعاؤها في هذه السورة التي تجري تقاطعات افتراضية بين الشريعتين؛ بمناسبة الحديث عن بيت المقدس وعن الرحلتين السابقتين. ولأن هذه العقيدة أيضاً مما أنكره كفار قريش. كما أنكره قوم نوح عليه السلام. إذن هناك نص مواز لسورة الإسراء هو التوراة وما فعله البشر فيها، وما جاءت به سورة الإسراء هو تصحيح لها وتأكيدا على ما بقي صحيحا فيها.

المطلب الثالث: تبادل أدوار الطغيان:

يمثل هذا المطلب فرعاً من محور (الدخول والخروج)؛ إذ يضم في ثناياه تناظراً بين رسالة موسى وحالات بني إسرائيل بكل محطات صراعها، وبين رسالة محمد ﷺ وحالات قومه معها. فمن عناصر اللُحمة الانسجام بين موضوعات سورة الإسراء ما يمكن تسميته بـ (تبادل الأدوار) وهو يشبه الدخول والخروج. إذ تدل حادثة الإسراء على خط السير المكاني الذي يربط مكة بالقدس؛ فكأن هذا الخط يجسد لنا فكرة أن الرسائل السابقة بدأت من مكة إلى بيت المقدس من عهد إبراهيم عليه السلام، ثم تحولت في عهد أنبياء بني إسرائيل إلى القدس، ثم عادت عودتها الأخيرة إلى مكة. لذلك نجد سورة الإسراء تركز تركيزاً شديداً على معجزة القرآن وفي آيات كثيرة. كما نجدها توجه خطابها إلى الفئة التي رفضت الاعتراف برسالة محمد ﷺ ومعجزة القرآن وهم كفار قريش. إذا ادّعوا باطلاً أن محمداً ﷺ (مسحور) ليصرفوا قلوب الناس عن الحق، وهي الدعوى نفسها التي ألقاها فرعون على موسى عليه السلام، وقد رصدت السورة لنا هذين الموقفين قال تعالى: ﴿ تَخُنُّ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ بِجُودَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ الإسراء: ٤٧ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سِعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ الإسراء: ١٠١. وهذا تقاطع بين الرسالتين مع قوى الطغيان بادئ الأمر. والغريب أن دعوى فرعون بسحر موسى عليه السلام جاءت مقرونةً بالإخراج من الأرض، كما وردت في سورتين أخريين. قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ﴾ طه: ٥٧. وقال تعالى: ﴿ قَالُوا إِن هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا ﴾

طه: ٦٣ ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ الشعراء: ٣٤ - ٣٥.

والتشابه بين دعوى كفار قريش - في رسالة محمد ﷺ وتكذيبهم لها، ودعوى فرعون في رسالة موسى عليه السلام وتكذيبه له - أوجه كثيرة وصور متطابقة، وقد رصدها القرآن في غير ما موضع كقوله تعالى: ﴿ أَوْ يُنْفَخِ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ الفرقان: ٨ وقوله تعالى: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْفَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَكُ مَقْتَرِينَ ﴾ الزخرف: ٥١ - ٥٣.

إن ثمة تناظراً شبه جلي بين رسالة سيدنا محمد ﷺ وسيرته، وبين رسالة سيدنا موسى وسيرته. وتبدأ هذه الثنائية في عدة محطات هي: مواجهة القوة الطاغية المتجبرة: قريش بالنسبة لسيدنا محمد ﷺ بادئ الأمر. وفرعون وبالنسبة لموسى عليه السلام في بادئ أمره. ثم الإفلات من قبضتها. وتتمثل في هجرة الرسول ﷺ وخروج سيدنا موسى وبني إسرائيل من مصر. ثم مواجهة عصيان بني إسرائيل وعنادهم وكفرهم، مع موسى عليه السلام بعد الخروج. ومع سيدنا محمد ﷺ ويهود المدينة. تحريم الأرض على بني إسرائيل. أرض بيت المقدس في عهد موسى عليه السلام. وجزيرة العرب في عهد محمد ﷺ. وكلها محطات دخول وخروج.

إن هذه الرؤية تُفسر لنا سبب نبوءة الآيات في مقدمة سورة الإسراء، وهي آيات الوعد التي تحدثنا عن إفساد بني إسرائيل في الأرض المقدسة. وهما إفسادان

وإخراجان، وكل منهما جاء بعد وفاة موسى. ومن أوجه المناسبة الشديدة لحالة الإفساد الأول والثاني الخاص ببني إسرائيل: هو تحوُّلهم من العناد والخبث - في ذلة وضعف ومسكنة- إلى علو في الأرض مثل علو فرعون. وهنا ستوحد خطوط الدلالة في السورة، حيث ستعود المواجهة مع اليهود مواجهة الحق مع القوة الطاغية المتجبرة، كحال مواجهة موسى عليه السلام مع فرعون، أو مواجهة محمد ﷺ مع كفار قريش. قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكَنْبِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤]، وعناصر هذا الطغيان ماثلة بالأسباب المادية نفسها المال والبنين. يقول ابن عاشور: " والعلو في قوله: ﴿ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ مجاز في الطغيان والعصيان كقوله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ وقوله: ﴿ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ تشبيهاً للتكبر والطغيان بالعلو على الشيء لامتلاكه تشبيه معقول بمحسوس^(٢٤). إن تحوُّل بني إسرائيل إلى قوة طاغية هو خروج من حالة ضعف ودخول في حالة علو لمرتين تنتهيان بالدخول في حالة من الضعف والإخراج من الأرض. وقد استدعى السياق هذه الحالة لوجود عدة أوجه من المناسبة تداخلت مع بعضها: الأول الطغيان والتجبر والإفساد، الذي يجمع فرعون وكفار قريش واليهود في طور علوهم لمرتين، الثاني مناسبة المكان (بيت المقدس) الذي قصده محمد ﷺ في الإسراء والذي قصده موسى عليه السلام في العبور، والذي سيفسد فيه اليهود مرتين، الثالث: تحوُّل اليهود مع الزمن من أمة مستضعفة تتبع الحق أمام تجبر طاغوت، إلى أمة متجبرة طاغية تقاوم الحق وتفسد في الأرض، الرابع: متابعة ثنائية الاستفزاز والإخراج والعقاب، مع فرعون وكفار قريش ومع اليهود في إفساديهما. حيث سيعاقبون بالإخراج والعودة للذل والجلاء المستمر، ﴿ وَلَوْلَا أَن كُنَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ [الحشر: ٣].

إن هذا كله جعل سورة الإسراء تحمل اسم (سورة بني إسرائيل). مع العلم أن حديث سورة الإسراء عن بني إسرائيل "إنما هو في بضع آيات وإن كثيراً من السور القرآنية كان الحديث فيها عن بني إسرائيل أكثر بكثير من سورة الإسراء كسورة البقرة وآل عمران. وهنا يجدر بنا أن نتساءل: ألم يكن حرياً أن تُسمى تلك السور بسورة بني إسرائيل بدلاً من سورة الإسراء^(٢٥)؟ لعل السبب الكامن وراء هذا من وجهة نظر د. فضل عباس: "إن السور التي تتحدث عن بني إسرائيل مطولاً كان الحديث فيها عن بني إسرائيل في الزمن الماضي من حيث تاريخهم ونشأتهم، لكن سورة الإسراء لم تتحدث عن شيء من هذا بل كان حديثها فيما يخص هذه الأمة، فالشيء الذي يجب أن يقف عنده المسلمون الصلة بين هذين الاسمين (الإسراء وبني إسرائيل)^(٢٦). والصلة اللفظية واضحة بين الإسراء وإسرائيل وهذا من وجوه التناسب اللفظي.

إن بني إسرائيل كانوا طرفاً رئيسياً في كل محاور الصراع المذكورة، وقد تَقَمَّصُوا كل الأدوار المتاحة: أدوار القوة وأدوار الضعف، أدوار العصيان وأدوار الطاعة، أدوار المؤمنين وأدوار الكافرين، في ثنائية متداخلة شديدة الدقة، جاءت في السورة بشكل موزَّع على عدة سياقات، ولكن يمكن استخلاصها مع ثنائية الخروج والدخول، فهناك خروج الإنقاذ والرحمة كخروجهم من مصر، وهناك خروج العقاب والجزاء كخروجهم من الأرض المقدسة بعد الإفساد فيها. وبؤرة الدخول والخروج هي الأرض المقدسة.

المطلب الثالث: انسجام المفردات مع محور السورة - أفعال الحركة (نموذجاً):

بما أن من محاور السورة (الدخول والخروج) وما يتعلق بهما، وقد تعرفنا إلى روابط الانسجام والتقاطع بين الموضوعات السابقة وهو انسجام معنوي. فإنه من

الضروري أن نتحسس جانباً من الانسجام اللفظي والدلالي في السورة. وقد اخترنا عينةً للدراسة هي (الأفعال) فوجدنا أن هذه الأفعال تميل في معظمها إلى الجانب الحركي.

أول عتبة لولوج النص (سورة الإسراء) هو اسم السورة ولها اسمان (الإسراء وسورة بني إسرائيل^(٢٧)) وهما قريبان جداً في المدلول. وسأقف مع الاسم الأول وسيأتي الربط مع الاسم الثاني لاحقاً. فالتعريف البسيط للإسراء - كما مر سابقاً - هو الحركة الليلية. ونحن نعلم أن حركة الرسول ﷺ نحو المسجد الأقصى انتهت بعودته. وهذا محور مبني أساساً على الحركة. لذلك سنجد تقاطعاتٍ عديدةً في السورة مع عنصر الحركة، أو محاولة تعطيل الحركة. وهذا يفسر ملحظاً عاماً في السورة وهو اكتساب الأفعال صفة الذهاب والحركة تناسباً مع محور السورة العام. فمستهل السورة (سبحان الذي أسرى) نجد أن من أسباب استهلال السورة بالتسبيح - علاوةً على ما فيها من تنزيه الله وإظهار عظمة قدرته - أن جذر الكلمة اللغوي يقوم على الحركة والاجتياز، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٤٠. وفي معجمات اللغة: [سبح] السباحة: العوم. والسبح: الفراغ. والسبح: التصرف في المعاش^(٢٨). ولبعض اللغويين رأي يحصر جذر سبحان في الفعل (سَبَح) كقوله: "وحكى ثعلب: سَبَحَ تَسْبِيحًا وَسُبْحَانًا، وعندني أن سُبْحَانًا ليس بمصدر سَبَحَ، إنما هو مصدر سَبَحَ^(٢٩). أما عند ابن فارس فإن الجذر له أصلان كما جاء في قوله: " (سبح) السين والباء والحاء أصلان: أحدهما جنسٌ من العبادة، والآخر جنسٌ من السَّعي^(٣٠). ولأن السورة تتخللها ثنائية الدخول والخروج يناسبها الافتتاح بالتسبيح بناءً على ما تقدم. وتماشياً مع الحركة تتميز الأفعال في سياق السورة بميزة الحركة من بين بدائلها

المعجمية. فمثلاً في باب النواهي في سورة الإسراء نقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْطَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء: ٣٢ إذا اختار الاقتراب كفعل يدل على حركة الذهاب تماشياً مع إيقاع الحركة. كما اختار كلمة (سبيلاً) تماشياً مع الذهاب؛ لأن الذهاب يقتضي وجود طريق. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ الإسراء: ٣٤. فقد اختار فعل الاقتراب كما اختار فعل (يبلغ) الذي يدل على الوصول. ولم يقل حتى يرشد. ومن النواهي أيضاً: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ الإسراء: ٣٦ وقد اختار الفعل (تقفو) جاء في المعجمات: "القفو: مصدر قولك: قفا يقفوق قفواً، وهو أن يتبع شيئاً"^(٣١). ومن النواهي: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ الإسراء: ٣٧ وقد اختار للخيلاء الفعل (تمشي) وللتكبر فعل (تبلغ) وكلاهما مختصان بالذهاب والحركة. ومثلها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ١١٠)، وقد عبّر عن حالة التوسط بابتغاء السبيل وهو من متعلقات الحركة والقصد. وفي مجال الأوامر نجد أن الأفعال تنحو نحو الصيغة الحركية المتعلقة بالذهاب والمجيء كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَل لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: ٨٠ - ٨١. وفي هذه الآية نجد البؤرة الحقيقية لمحور السورة متجسدة في الفعلين (ادخلي مدخل) و(أخرجني مخرج) كذلك نجدها في قوله (جاء الحق) للتعبير عن الغلبة فالفعل جاء ليس موازياً للفعل (زهق) من حيث الدلالة، إلا أن اختياره للغلبة جاء تماشياً مع محور السورة. ومثله الكثير من الأفعال في السورة جاءت بصيغة الماضي أو المضارع للإخبار. كقوله

تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولُهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ الإسراء: ٥ ففي هذه الآية نصادف الفعل (جاء) بمعنى (حان أو انه) ثم الفعل (بعثنا) ليدلان على محور الحركة والانطلاق والذهاب. ثم الفعل (جاسوا) الذي يحمل في مظهره معنى الذهاب والمجيء معاً؛ ليدل على التمكن والسيطرة. يقول القرطبي: قَالَ أَبُو زَيْدٍ: الحوس والجوس والعوس والهوس: لطواف بالليل. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْجَوْسُ مُصَدَّرُ قَوْلِكَ جَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، أَي تَحَلَّلُوها فَطَلَبُوا مَا فِيهَا كَمَا يَجُوسُ الرَّجُلُ الْأَخْبَارَ أَي يَطْلُبُهَا... وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: طَافُوا بَيْنَ الدِّيَارِ يَطْلُبُونَهُمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ دَاهِيَيْنَ وَجَائِئِينَ، فَجَمَعَ بَيْنَ قَوْلِ أَهْلِ اللُّغَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَشَوْا وَتَرَدَّدُوا بَيْنَ الدُّورِ وَالْمَسَاكِينِ^(٣٢). كما نجد في الآيات التي تليها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۖ ﴾ (٦) إِنَّ أَحْسَنَتُمْ أَحْسَنَتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةَ لِيُسْئِفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلَوُا تَبَرُّرًا ۗ ﴾ (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُمْ عَلَيْنَا فِئْتُمْ لَلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ الإسراء: ٦ - ٨ إذ نجد قوله تعالى: ﴿ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ ﴾ كتعبير عن الغلبة من جديد. لكن جاءت الصيغة حركية فالرد معناه العودة وكذلك الكرّة، لتتماهى أفعال السياق مع المحور العام. ثم استعمال الفعل (جاء وعد) ليعبر عن دلالة (حان) ثم ورد الفعل (ليدخلوا) و(كما دخلوه) ثم ورد الفعلان (وإن عدتم عدنا) لتمعن السورة في استعمال الأفعال الدالة على الذهاب والمجيء في غير أصل وضعها؛ تماشياً مع المحور العام. وثمة كم كبير من الأمثلة سأورد بعضها على سبيل الذكر دون تفصيل. مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ الإسراء: ١٩ وكذلك قوله: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا

لَأَبْنَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿ الإسراء: ٤٢ ﴾ وكذلك قوله: ﴿ وَلَوْ عَلَيَّ آدْبَرُهُمْ نُفُورًا ﴾ الإسراء: ٤٦ وكذلك قوله: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ ﴾ الإسراء: ٨٦ وكذلك قوله: ﴿ قُلْ لَوْ كَانِ فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْسُورُ مَطْمِينِينَ ﴾ الإسراء: ٩٥ وأكتفي بما تقدم من أمثلة مع أن السورة تحتوي على الكثير الذي لم أوردته، وكلها تؤكد على تماهي المفردة مع السياق. فالميل إلى اختيار مفردة على أخرى لسببين سبب دلالي وسبب تناسبي أو مشاكلة لفكرة النص الأولى. وإن كان لهذا تفسير فإن متعلق بمحور السورة وهو الدخول والخروج. فمن أسرار التناسب في القرآن أن السورة تتماهى مع محورها العام.

الخاتمة

الحمد لله بدءاً وختاماً، والصلاة والسلام على الرسول ﷺ المرتضى المبعوث بالرسالة التي ارتضاها الله لنا. وبعد. فقد حاولت هذه الدراسة إظهار ما خفي من علاقات في سياق سورة الإسراء. وقد انتهت إلى أن (ثنائية الدخول والخروج) كانت مفتاحاً نصياً تلتئم خلفه كل موضوعات السورة عبر آلية التداعي السياقي، وأن ما يظهر للقارئ للوهلة الأولى من خروجات وانتقالات سريعة بين موضوعات السورة ليست بلا رابط، وإنما له آلية جمالية تنضوي تحته. وقد بينت الدراسة العلاقة بين سياق الإخبار وسياق الأمر والنهي وسياق الامتنان. تحقيقاً لفكرة النصية، أو دراسة النص ككل متكامل لا كأجزاء منفصلة.

كما أظهرت الدراسة خفايا التناسب العميق بين وحدات المعنى في السورة. وحاولت الربط بين قصص اليهود وبين فرعون وبين كفار قريش في تبادل أدوار العلو والذل عبر استقراء لما وراء السياق الحرفي. كما قدمت تعليلاً أسلوبياً لنزوع الأفعال في سورة الإسراء نحو الصيغة الحركية المتعلقة بالدخول والخروج تماشياً مع محور السورة. ونظراً لضيق المساحة فقد ضربت الذكر صفحاً عن وجوه كثيرة من التقاطعات في هذه السورة آملاً - بعد توفيق الله - أن تتم لها دراسة موسعة عبر كتاب.

وقد تبدى للقارئ علاقة محور السورة باسمها وعلاقته بالثنائية (الدخول والخروج) وعلاقة ذلك كله بقصص بني إسرائيل وتصدرها لمستهل السورة ولقاطعها الختامية، وكان ذلك سبباً لإظهار الأدوار المتبادلة التي لعبها بنو إسرائيل في محطات حياتهم.

الحواشي والإحالات:

- ١ - الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة، (دت)، ص: ٢١٠.
- ٢ - الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، (دط) ١٣٩١هـ، ج ١ - ص: ٤٢.
- ٣ - الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير الجامع الرواية بين فني والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ، ج ٣ - ص: ٢٤٧، وانظر التأويل نفسه عند أبي زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (١٣٩٤هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (دط)، (دت)، ج ٨ - ص: ٤٣٣٠.
- ٤ - المرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ج ١٦ - ص: ٩.
- ٥ - أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية - ليبيا، ٢٠٠٣، ص: ٢٥٥.
- ٦ - ابن أبي الإصبع العدواني، (٦٥٤هـ) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، (دط) (دت) ص: ٤٣٤.
- ٧ - ابن عاشور، محمد بن الطاهر، (ت: ١٩٧٣م) التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت. ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. ج ١٤ - ص: ٢١.
- ٨ - عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَة الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ج ٢ - ص: ٨٩.

- ٩ - الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ (دط) هـ - ١٩٩٦ م، ج١ - ص: ٢٨٨.
- ١٠ - سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط١٧، - ١٤١٢ هـ، ج٤ - ص: ٢٢٠٨.
- ١١ - عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ص: ٢٥٢.
- ١٢ - يقول حجازي: "وفي تعبير القرآن الكريم بعبده بدل حبيبه مثلا أو بدل اسمه. إشارة دقيقة: إذ حادثة الإسراء والمعراج معجزة خارقة قد تؤثر على بعض النفوس الضعيفة فتضع النبي ﷺ في غير موضعه كما وضعت النصراني المسيح فقيل: عبده أي: الخاضع لعزه وسلطانه". محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ - ج٢ - ص: ٣٥١.
- ١٣ - مما تجدر الإشارة إليه أن كلمة (كبيرا) بالنصب وردت في القرآن ١٧ مرة ٦ منها في سورة الإسراء. واختتمت هذه السورة بقوله وكبره تكبيرا.
- ١٤ - في معنى الاستفزاز: الحرب النفسية لقطع طريق الدعوة. وليس يحمل معنى الإخراج - إلا أن يكون الإخراج من الدين - وقد وقع اختلاف في تأويل الآية، ونحن نجزم أن فرعون لم يشأ أن يخرج بني إسرائيل من مصر، وقد كان هذا هو مطلب موسى عليه السلام، بل ولحقهم عندما هربوا، وكذلك فعل كفار قريش من محمد ﷺ. انظر في سبيل هذا الخلاف: عبد الرحيم خير الله عمر الشريف، دراسة نقدية لتأويل معنى "يَسْتَفْزَهُمْ" في الآية ١٠٣ من سورة الإسراء، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، (سلسلة الدراسات الإسلامية)، المجلد التاسع عشر، العدد الأول، كانون الثاني (يناير) ٢٠١١ م، ص٣٥٧-٣٧٠.
- ١٥ - جمع أحد الباحثين وصايا سورة الإسراء في سبع وعشرين وصية في دراسة مستقلة. انظر تفصيل ذلك عند: "عايد بن عبد الله عيد المرشودي الحربي، وصايا سورة الإسراء، فسرها ودلالاتها، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد: ١٣١، ١٤٢٦هـ، ص: ١٣٢.
- ١٦ - ابن عاشور، التحرير والتنوير: ج١٤ - ص: ٩.

- ١٧ - الزحيلي، د وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.، ج٨- ص: ١٠٨-١٠٩.
- ١٨ - عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ص: ٢٥٢.
- ١٩ - نوار محمد إسماعيل الحياي، التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية، أطروحة دكتوراه مقدمة: إلى مجلس كلية الآداب في جامعة الموصل (مخطوطة)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص: ٨٨.
- ٢٠ - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص: ٢٢٠٩.
- ٢١ - البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج٤ - ص: ٣٣٤.
- ٢٢ - تكررت كلمة (القرآن) في السورة (١١) مرة. وتكررت في باقي القرآن (٦٩) مره. نحو سُدسها في هذه السورة.
- ٢٣ - محمد رشيد بن علي رضا (١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دط)، ١٩٩٠ م، ج١٠-٢٥٢. ويقول ابن حزم: "التوراة التي بأيدي اليهود فليس ذكر ما لنعيم الآخرة أصلا ولا لجزاء بعد الموت البتة" ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط) ٢٠١٠م، ج٢ - ص: ٨٦.
- ٢٤ - ابن عاشور، التحرير والتنوير: ج١٤ - ص: ٢٥.
- ٢٥ - لطفي عبد الرحمن مصطفى محاجنة، المضامين الاجتماعية في سورة الإسراء، رسالة ماجستير (مخطوطة) جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ٢٠١٢، ص: ١٤.
- ٢٦ - فضل عباس، الإسراء والمعراج دروس ونفحات، دار الفرقان، الأردن، ط١، ٢٠٠١، ص: ٣٤.

- ٢٧ - يقول البقاعي: "وأما بنو إسرائيل، فمن أحاط - أيضاً - بتفاصيل أمرهم في مسيرهم إلى الأرض المقدسة، الذي هو كالإسراء، وإيتائهم الكتاب، وما ذكر مع ذلك من شأنهم في هذه السورة، الذي هو عروف بالفرق بين الإسراء بين الفرق بين الإيتاءين، عرف ذلك" البقاعي، إبراهيم (٨٨٥هـ)، مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ. مكتبة المعارف، الرياض ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، ج ٢ - ص: ٢٣١. وانظر أيضا: قاسم عاشور، ١٠٠٠ سؤال وجواب في القرآن، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ص: ٢٧٤.
- ٢٨ - الجوهري، إسماعيل بن حماد؛ تاج اللغة وصحاح العربية. دار العلم للملايين - بيروت. ط ٤، ١٩٩٠. ج ٢ - ص: ٣٩٥.
- ٢٩ - ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج ٣ - ص: ٢١١.
- ٣٠ - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، طبعة عام: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ٣ - ص: ١٢٥.
- ٣١ - الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ج ٩ - ص: ٢٤٥.
- ٣٢ - القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج ١٠ - ص: ٢١٦.

المصادر والمراجع

- ١ - أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية - ليبيا، ٢٠٠٣.
- ٢ - الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- ٣ - ابن أبي الإصبع العدواني، (٦٥٤هـ) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: الدكتور حفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، (دط) (دت).
- ٤ - ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط) ٢٠١٠م.
- ٥ - ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (٥٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٦ - ابن عاشور، محمد بن الطاهر، (ت: ١٩٧٣م) التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت. ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٧ - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، طبعة عام: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٨ - الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، (دت).
- ٩ - أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (دط)، (دت).
- ١٠ - البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (٨٨٥هـ)، مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ. مكتبة المعارف، الرياض ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

- ١١- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.
- ١٢- الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية. دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠.
- ١٣- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.
- ١٤- الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد ﷺ أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، (دط) ١٣٩١ هـ.
- ١٥- سيد قطب الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط١٧، - ١٤١٢ هـ.
- ١٦- الشوكانى محمد بن علي، فتح القدير الجامع الرواية بين في والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.
- ١٧- عايد بن عبد الله عيد المرشودي الحربي، وصايا سورة الإسراء تفسيرها ودلالاتها، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد: ١٣١، ١٤٢٦ هـ.
- ١٨- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَةَ الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١٩- عبد الرحيم خير الله عمر الشريف، دراسة نقدية لتأويل معنى "يَسْتَفِيزُهُمْ" في الآية ١٠٣ من سورة الإسراء"، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، (سلسلة الدراسات الإسلامية)، المجلد التاسع عشر، العدد الأول، كانون الثاني (يناير) ٢٠١١ م.
- ٢٠- عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٢١- فضل عباس، الإسراء والمعراج دروس ونفحات، دار الفرقان، الأردن، ط١، ٢٠٠١.

- ٢٢- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ (دط) هـ - ١٩٩٦ م.
- ٢٣- قاسم عاشور، ١٠٠٠ سؤال وجواب في القرآن، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٢٤- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- ٢٥- لطفي عبد الرحمن مصطفى محاجنة، المضامين الاجتماعية في سورة الإسراء، رسالة ماجستير (مخطوطة) جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ٢٠١٢.
- ٢٦- محمد رشيد بن علي رضا (١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دط)، ١٩٩٠ م.
- ٢٧- محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣ هـ.
- ٢٨- نوار محمد الحياي، التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية، أطروحة دكتوراه مقدمة: إلى مجلس كلية الآداب في جامعة الموصل (مخطوطة)، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٢٩- المهري، محمد الأمين الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.